

المصوتات العربية في دراسات المستشرقين الفرنسيين؛ دلالة المصطلح ومفهوم الحركة

د. سليم مزهود*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة، salimsimez@gmail.com

النشر: 2022/05/30

القبول: 2022/02/28

الإرسال: 2021/04/05

الملخص:

تكمّن أهمية أصوات اللغة في كونها جوهرًا، تتخذ الحروف هيئةً لها لأجل تأليف الكلام والتخاطب والمحادثة بغرض تحقيق التواصل الإنساني، لذلك نالت اهتمام اللغويين بدراستها، إلى درجة تأثر المستشرقين بتلك الدراسات، فانتهجوا نهجها. وحظي درس الصوتي بعناية فائقة من قبل المستشرقين الفرنسيين؛ الذين أسهموا بجهودهم في نقل التراث اللغوي العربي إلى أوروبا، إلا أنّ بعضهم اختلط عليه فهم بعض صفات المصوتات العربية، فحاول تطبيق الطريقة اللغوية الغربية في التعامل مع المصطلحات الصوتية العربية. ومهما يكن فإنّ لأبحاث المستشرقين في الجانب الصوتي أثرًا واضحًا في نضج الدراسات الصوتية في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ المصوتات؛ المستشرقون الفرنسيون؛ الحركة

The Arabic Vowels in French Orientalists Studies; The connotation of the term and the concept of Al-Haraka

Abstract: The importance of phonetics is that it is the essence, in order to compose speech, discourse and conversation in order to achieve human

*المؤلف المرسل.

communication. So, the interest of linguists in studying. Orientalist endeavors have been directed to study Arabic language at all phonetic, morphological, grammatical and denotative levels. The study of the writings of the French Orientalists in Arabic phonology, and Islamic heritage is one of important issues, although some errors can be systematic.

Key words: Arabic; Phoneme; French Orientalists; Al-Haraka

1- مقدمة:

أخطأ المستشرقون منهجياً في تصنيف الأصوات العربية بأن قاسوها على تقسيم الأصوات غير العربية، متجاهلين الإطار الفكري العام الذي درس على نهجه النحاة العرب أصوات لغتهم، حيث قسموا الأصوات إلى قسمين؛ أصوات صامتة هي السواكن Consonants ومصوتات هي العلل Vowels؛ وهي ستة مصوتات، مقسمة إلى نوعين؛ قصيرة وطويلة، ولكل مصوت منها أوضاع مختلفة بحسب موقعه، وما يجاوره في السياق.

انطلاقاً من هذا الطرح يهدف هذا المقال إلى الكشف عن أصالة علم الصوتيات النطقية العربية في أعمال المستشرقين الفرنسيين اللغوية وغير اللغوية، ومحاولة جمع ما يسهم في سد النقص في المكتبة الصوتية العربية.

يتضمن هذا المقال دراسة المصوتات العربية، ويعرض مصطلح المصوت، والمصطلحات التي استعملها علماء العربية في مجال المصوتات، ويبين اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بهذا العلم، بالنشر والمناقشة والدراسة، كما يتطرق المقال إلى مباحث صوتية متعددة؛ كمصطلح الحركة، والمصوتات وصفاتها في اللغة العربية ومفهوم الحركة، ووظيفتها.

2- دلالة الصوت والمصوت:

إن للصوت أهمية بارزة في بناء المفردة والجملة، فمن دونه لا يستقيم المعنى ولا يصلح الذوق، وفي هذا يقول الجاحظ (776-868م): «إن أمر الصوت عجيب وتصرفه في الوجوه أعجب... وقد بكى ماسرجويه (ت: 261هـ) من قراءة أبي الخوخ فليل له كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: إنما أبكاني الشجا»⁽¹⁾.

ويعتبر الصوت وسيلة اتصالية يعتمد عليها الإنسان في التخاطب والمحادثة والبحث في الأشياء التي تحيط به، أو الكشف عن الموجودات في أرجاء الكون الواسع.

وبشكل الصوت أحد الظواهر الطبيعية التي يدرك بها الإنسان الأثر، حيث أثبتت التجارب في علم الأصوات أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز، غير أن تلك الهزات لا تدرك بالعين المجردة غالباً، وأن الهزات لمصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى الإذن السامعة⁽²⁾.

وحين ينطق الإنسان بالحرف، فمعناه أنه ينطق بالصوت الذي له معنى؛ لأجل ذلك لم يفرق العلماء العرب القدماء بين الصوت والحرف؛ أي بين المنطوق والمكتوب على عكس المحدثين الذين أقروا بالفرق بين الصوت والحرف، وانتقدوا القدماء في اتخاذ الحرف تعبيراً عن الرمز المكتوب والصوت المسموع⁽³⁾، إلا أن هناك من العلماء العرب القدماء من بينوا الفرق بين الصوت والحرف، وعلى رأسهم: ابن جني (934-1002م) الذي قال: «اعلم أن الصوت عرضي يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين، مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً. وتختلف أجراس الحروف، بحسب اختلاف مقاطعها، وإذا تقطعت لذلك وجدته على ما ذكرته لك، ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرساً ما، فإن انتقلت عنه راجعاً منه، أو متجاوزاً له، ثم قطعت، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، وذلك نحو الكاف، فإنك إذا قطعت بها، سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، وإن جزت إلى الجيم، سمعت غير ذينك الأولين»⁽⁴⁾.

لقد عرف ابن جني الصوت من ناحية نطقية وليس من ناحية سمعية، إذ يبدأ بإخراج الصوت من الجزء الأقصى من الحلق، وبصادف في طريقه مقاطع تشبه عن الاستطالة، ومكان اعتراض هذه المقاطع للصوت يكون المخرج⁽⁵⁾.

وبالرغم من أن ابن جني لم يفرق بين المصطلحين كما فرق المحدثون- إذ ذهب إلى القول إن الصوت يعني هذا المبهم الذي تصدره الحنجرة، فإذا صار بسبب المقاطع شيئاً أو دالاً أو قافاً صار حرفاً- إلا أنه يعد صاحب أول محاولة حقيقية بينت الفرق بين الحرف بوصفه وحدة لغوية، وبين الصوت الذي يمكن أن يصدر منه مخرجه تبعاً للضغط الواقع عليه.

2-1- تعريف الصوت لغة واصطلاحاً:

2-1-1- تعريف الصوت لغة: الصوت؛ الجرس، قيل: صات يصوت ويصات صوتا

وصائت وصوت يصوت تصويتا؛ فهو: مصوت؛ وهو في نظر ابن فارس (941-1004م) أصل صحيح يفيد بأنه جنس لكل ما وقر في أذن السامع⁽⁶⁾. والأصل في الصوت: التذكير، فهو مصدر بمنزلة الضرب، غير أنه جاء مؤنثا على معنى الصيحة؛ قال رويشد بن كثير الطائي:

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ سَأَلْتُ بَنِي أَسَدٍ: مَا هَذِهِ الصَّوْتُ؟

وقد عدّ تأنيث الصوت من قبيح الضرورة، لأنه خروج عن أصل إلى فرع، وإنما المستجاز من ذلك رد التأنيث إلى التذكير؛ لأن التذكير هو الأصل⁽⁷⁾.

وجمع الصوت؛ أصوات، قال ابن السكيت (802-858م): «الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيَّت؛ شديد الصوت»⁽⁸⁾، «ورجل صائت؛ حسن الصوت شديده. وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات؛ فالصوت يقابل الصياح، وصات؛ صاح، وصائح»⁽⁹⁾.

ويرتبط تعريف الصوت بأبعاده وموارده متعين بهراذه، فقد أعطى الأصفهاني (ت: 1008م) خلاصة دقيقة لهذه المصادر، بعد اعتبار الصوت الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وهما ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء؛ كالصوت الممتد، والتنفس بصوت ما. والمتنفس نوعان: غير اختياري؛ كما يكون من الجماد والحيوان. و اختياري؛ كما يكون من الإنسان. والنوع الاختياري ضربان: أحدهما ضرب باليد؛ كصوت العود وما يجري مجراه، وثانيهما ضرب بالفم في نطق وغير نطق. والمنطوق منه: إما مفرد من الكلام، وإما مركب كأحد الأنواع من الكلام. وغير المنطوق: كصوت الناي⁽¹⁰⁾.

ثبت علمياً أنّ الصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء تنطلق من جهة الصوت، وتذبذب من مصانعه المصدرة له، فتسبح في الفضاء حتى تتلاشى ويستقر الجزء الأكبر منها في السمع بحسب درجة تذبذبها، فتوحي بدلائلها، فرحاً أو حزناً ونهياً أو أمراً، خبراً أو إنشأً، صدى أو موسيقى، أو شيئاً عادياً مما يفسره التشابك العصبي في الدماغ، أو يترجمه الحس المتوافر في أجهزة المخ بكل دقائقها. ولعلّ في تعريف ابن سينا (980-1037م) إشارة إلى جزء من هذا التعريف، من خلال ربطه الصوت بالتموج، واندفاع الصوت بسرعة عند الانطلاق، قال ابن سينا: «الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان»⁽¹¹⁾

والصوت لغوياً: «عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»⁽¹²⁾

إن تعريف الصوت من قبل ابن جني يُعني بملامح الصوت اللغوي دون سواه، بدليل تحديده مقاطع الصوت التي تثنيه عن الامتداد والاستطالة، وتسمى وقفة الانثناء مقطّعاً في التعريف الاصطلاحي، ويسمى المقطع عند الانثناء حرفاً، ويميز بين الجرس الصوتي لكل حرف معجمي بحسب اختلاف مقاطع الأصوات، فتمس لكل حرف جرساً، ولكل جرس صوتاً.

وبما أنّ «اللغة أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽¹³⁾؛ فإنّ الصوت بوصفه اللغوي في هذه الدراسة- يُعني بتتبع الظواهر الصوتية في حروف المعجم العربي، من حيث مخارج الأصوات ومدارجها، وأقسامها وأصنافها وأحكامها وعللها، ودلائلها وخصائصها في أحوال الجهر والهمس والشدّة والرخاوة وملامح صوائتها وصوامتها في السكون والحركة، وضوابطها في الإطباق والانفتاح مما يتهيأ تنظيره من الصوتيات العربية.

ولم يستطع كثير من المستشرقين فهم الإطباق والانفتاح والتفريق بينهما، إلى درجة أنّ المستشرق الفرنسي جون كانتينو Jean Cantineau (1899-1956) تحدّث عن الصفتين في مجال التفخيم وانعدامه، وأخذ على سيويو والنحاة العرب عدم عدّهم القاف من الحروف المطبقة وقولهم إنّها مفخمة⁽¹⁴⁾. ولربّما ظنّ كانتينو Cantineau أنّ كلمة الإطباق مأخوذة من الطبق؛ أي الحنك اللين، مما جلعه يخلط بين الإطباق والتفخيم⁽¹⁵⁾.

2-1-2- تعريف الصوت اصطلاحاً: يعرف الجاحظ الصوت على أنّه: «آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم فيه التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف إلا بالتقطيع والتأليف»⁽¹⁶⁾، ويفهم من كلام الجاحظ أنّ الصوت جوهر، وأنّ الحروف هي الهيئة التي يأخذها الصوت من أجل تأليف الكلام.

وبالرغم من أنّ جماعة إخوان الصفا الفلسفية أحاطت بالمعلومات الأساسية للصوت، وبيّنت حركة الأجسام وأثرها في الهواء لإحداث الأصوات، بحيث يتدافع الهواء ويتموج إلى جميع الجهات⁽¹⁷⁾، إلا أنّها لم تقدّم تعريفاً دقيقاً للصوت، واكتفت بالإشارة إلى الأثر السمعي للصوت ودرجات الصوت وأقسامه وشدّته وكثرة تموجه في الهواء⁽¹⁸⁾، وبيّن ابن سنان الخفاجي

(423-1073م) أنّ «الحرف هو حدُّ الشيء وأنَّ حرف الصوت هو حد مقطع الصوت؛ أي أن الحرف هو خلاف الصوت»⁽¹⁹⁾.

ويعرف ابن جني الصوت —كما ورد سابقا- بقوله: «اعلم أن الصوت عَرَض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفَتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته»⁽²⁰⁾، ومعنى الاستطالة عنده أن يكون واحدا لا تغير فيه ولا تميز، وإنما يتميز بتأثير العضو النطقي فيه؛ فالصوت المستطيل هو الألف على امتدادها⁽²¹⁾.

ويعرف ابن الأثير الصوت بأنه: «عرض يخرج مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفَتين، مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، ثم تبلغ أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»⁽²²⁾.

أما اللغويون المحدثون فيعرّفون الصوت على أنه الأثر السمعي الذي تُحدثه تموجات ناشئة عن اهتزاز جسم ما⁽²³⁾، فتنتشر هذه التموجات في الهواء بسرعة تقدر بحوالي 340م في الثانية حتى تصل إلى إذن السامع⁽²⁴⁾.

والصوت غنائياً؛ هو تعبير عن كلّ نغم يُردّد على نحو خاص من الترجيع في الشعر العربي بطريقة معينة، ورسم يعرف به، لأنّ الأصوات مجموعة مختارة من أغاني العرب القديمة والمولودة في أشعارها ومقاطعها، ومن ذلك أنّ هارون الرشيد قد أمر المغنّين عنده أن يختاروا له مائة صوتٍ منها فعيّونها له، ثم أمرهم باختيار عشرة فاختاروها له، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا ذلك، وحكي أن هذه الأصوات الثلاثة -على تلك الطرائق المختارة- لا تبقي نغمة في الغناء إلا وجدت فيها، فتمثلت في أنغام موسيقية ثلاثة هي: لحن معبد، ولحن ابن محرز، في الشعر العربي⁽²⁵⁾.

وتسمية هذه الأنغام بالأصوات مرجعه إلى الغناء؛ لأن غناء الأشعار الموزونة يكون بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كلّ منها إيقاعاً عند قطعه، فتكون نغمة، ثم تؤلف تلك الأنغام بعضها إلى بعض على نسب متعارفة، فتلذّ الأذن وتطرب عند سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات، فالأصوات تتناسب في علم الموسيقى، فيكون صوت نصف صوت، ورُبّ صوت آخر، وخُمس صوت آخر، وجزءاً من أحد عشر من آخر، واختلاف هذه النسب عند تأديتها السمع يخرجها من البساطة إلى التركيب⁽²⁶⁾.

وعرفت اللغة العربية نوعاً من الكلمات سُمعت عن العرب، أطلق النحاة عليه: اسم الصوت، وعرفوه على أنه: ما وضع لحكاية صوت، أو وضع لخطاب ما لا يعقل، أو ما هو في حكم ما لا يعقل من صغار الآدميين، قال ابن مالك (1203-1274م) ⁽²⁷⁾:

وَمَا بِهِ خُوطِبَ مَا لَا يَعْقِلُ مِنْ مُشَبَّهِ اسْمِ الْفِعْلِ صَوْتًا يُجَعَلُ
كَذَاكَ مَا أَجْدَى حِكَايَةً كَرَقَبٍ (وَعَاقٍ) (مَاءٍ) وَمِنْ الْأَوَّلِ (حَبِّ)

وهذه الأسماء على قسمين؛ أما الأول فالألفاظ الحكاية، ويمكن تعريفها بأنها رموز لغوية انفعالية تُحاكي بها أصوات الطبيعة للإفصاح عنها. ومثل لها ابن مالك بالكلمات: (قَب)؛ حكاية وقع السيف، و(عَاق)؛ حكاية صوت الغراب، و(مَاء)؛ حكاية صوت الشاة وبغام الطبي. وأما الثاني: فالألفاظ الزجر كما اصطلاح عليها النحاة، ويمكن القول إنها رموز لغوية توجه إلى الحيوان الأعجم، والأطفال للكشف عن موقف انفعالي والإفصاح عنه، ترغيباً أو ترهيباً. ومثل لها ابن مالك بكلمة: (حَبِّ) زجر للبعير ⁽²⁸⁾.

2-3-1- التمييز بين الصوت والحرف: عرّف العلماء العرب الصوت وميزوا بينه وبين الحرف بوصفه رمزا كتابيا يسمونه: «حدّ الصوت»، واتفقوا على أنّ الحرف يأتي بمعنى الصوت، غير أن مصطلح الحرف مساوٍ لرمز الصوت ورسمة الكتابي، فالرمز مجرد اصطلاح بينه وبين ومدلوله علاقة اعتباطية، لا منطقية، والصوت يمثل الجانب النطقي، أما الحرف فهو الرمز الكتابي للصوت ⁽²⁹⁾.

2-2- تعريف المصوت لغة واصطلاحاً:

2-2-1- المصوت لغة: سَمِيَ نَحَاةُ الْعَرَبِ الْمَصُوتَ: «الحركة»؛ أي: الفتحة والضمة والكسرة، وأما حروف المد واللين فهي الألف، مثل: عدا، والواو مثل: يدعو، والياء مثل: القاضي ⁽³⁰⁾. والمصوت لغة مأخوذ من الجذر اللغوي (ص ا ت)، وبصوت صوتاً وصوتت تصويتاً، ورجل صبت، أي شديد الصوت ⁽³¹⁾، ورجل مصوات؛ أي كثير التصويت، وما بالدار مصوات؛ لا يوجد أحد، والحروف المصوتة حروف المد؛ وهي: الألف والواو، والياء، والصامتة وما سواها ⁽³²⁾.

2-2-2- المصوت اصطلاحاً: يعرف المصوت اصطلاحاً على أنه الصوت الناشئ عن اهتزاز الوترين الصوتيين من غير عائق في أحد أجزاء الجهاز الصوتي، ويكون الجهاز الصوتي مع الحرف الصائت منفثاً انفتاحاً محدداً بمرور الهواء من غير أن يلقي عائقاً، والحروف

الصائتة هي: الألف والواو والياء، والحركات هي: الفتحة والضمة والكسرة⁽³³⁾، وأطلق ابن جني مصطلح الحروف المصوتة على الحروف المطولة الثلاثة: الألف والياء والواو، وسَمَّاهَا: الحركات الطويلة المصوتات⁽³⁴⁾.

وقد أدرك ابن جني أهم ما يميز المصوتات عن الصوامت، فالمصوتات قد يقف هواؤها تاماً، وأما الصوامت فهي حروف المد، يمتد فيها الهواء في مجراه مستمراً في الامتداد لا شيء يمنعه إلى أن يلغ منتهى نطق الصوت نفسه، ومنتهى صوت المد هو الهمزة التي هي أقصى الأصوات مخرجاً، ومن أبرز خصائص نطق الأصوات المصوتة: اتساع مخارجها مما يسمح للهواء بالتسرب حرّاً طليفاً، وترتيب المصوتات الطويلة عند ابن جني يبدأ بالفتحة الطويلة ثم الكسرة الطويلة ثم الضمة الطويلة، وتأتي الألف أولاً حيث المخرج، تليها الكسرة الطويلة؛ أي الياء، وتخرج أخير الضمة الطويلة؛ أي الواو. يقول ابن جني: «فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عن امتداده واستطالته، استمر الصوت ممتداً حتى ينفد؛ فيفضي حسيراً إلى مخرج الهمزة، فيقطع بالضرورة عندها إذ لم يجد منقطعاً فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو»⁽³⁵⁾.

ويرى ابن جني أن المصوت؛ المستطيل الأملس الذي لا يعترضه عائق، وأن الصامت هو الصوت الذي يلقي اعتراضاً أو تضيقاً شديداً يؤدي إلى اقتطاع امتداده؛ فيقول: «شبه بعضهم الحلق بالتأي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملساً ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة؛ فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات، وسُمع لكل خرقٍ منها صوتٌ لا يُشبهه صاحبه، فكَذلك إذا قُطِع الصوت في الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»⁽³⁶⁾. ويُسمي ابن جني الصامت صحيحاً والمصوت الطويل حرف مدٍّ واستطالة، يقول: «جميع الحروف صحيحة إلا الألف والياء والواو اللواتي هنَّ حروف المد والاستطالة، إلا أن الألف أشدَّ امتداداً وأوسع مخرجاً»⁽³⁷⁾.

3- مفهوم مصطلح الحركة وتقسيمات الأصوات لدى علماء العرب والغرب:

3-1- ظهور مصطلح الحركة: ربط بعض المستشرقين ظهور مصطلح الحركة عند العرب بجهود النحاة العرب الأوائل، يقول المستشرق الفرنسي هنري فليش (Henri Fleisch 1904-1985): إن كلمة (حركة) بمفهومها الذي أخذته لدى النحاة تعدّ في رأينا من خلق العرب وحدهم، وهي فكرة من الأفكار الأولى التي ألفوها حين كانوا يفكرون في لغتهم، كما تعبّر عن

تقليد من التقاليد الأولى التي ألفوها حين كانوا يفكرون في لغتهم، كما تعبّر عن تقليد من التقاليد الأولى في تاريخ النحو العربي، يدل عليه ما قاله أبو الأسود لكاتبه: عندما ترى أني فتحت في الحرف فضع نقطة فوقه، وإذا ضمته ...، وهو يريد بذلك أن يفسر أصل الفتحة والضمّة والكسرة⁽³⁸⁾، وتوضع الحركة انطلاقاً من حركة أعضاء نطق الشفتين، والفك الأسفل.

إن مفهوم الحركة لدى علماء الغرب، مرتبط بالرموز الدالة عليها، فهي كالصوامت في النظام الصوتي للحروف. يقول فليش Fleisch: «إن فكرة الحركة لدى القدماء بعيدة كل البعد عن تفكيرنا الحديث، فالحركة نوع العرض الذي يطرأ على الحرف الصامت، فهي لا يمكن أن تستغني عن الحرف، والحرف من جانبه يحتاج أيضاً إلى حركة»⁽³⁹⁾.

واستعمل فليش Fleisch مصطلح المصوت مقابل الصامت مشيراً إلى أن التهانوي قد استعمل المصطلحين وأخذهما من سبقوه⁽⁴⁰⁾، فقد ظهر المصطلحان لدى المبرد⁽⁴¹⁾ ثم ابن جني⁽⁴²⁾ وابن سينا⁽⁴³⁾

وقد استعمل كانتينو Cantineau هذين المصطلحين في كتابه: (دروس في علم أصوات العربية) على أنهما يقابلان مصطلحي (Consonne) و (Voyelle)، وأن مصطلحي: صامت ومصوت متوفران في المدونة اللغوية لدى العرب⁽⁴⁴⁾

واستعمل المستشرقون مصطلح (الحركات) فأطلقوا عليه المصوتات العربية الطويلة والقصيرة، ومنهم فليش Fliesch الذي عرّف المصوتات الطويلة بالحروف المعتلة الثلاثة، وهي أحرف المدّ والاستطالة، ومصطلح الحركات يضمّ الفتحة والضمّة والكسرة⁽⁴⁵⁾. أما موسكاتي سباتينو Moscati Sabatino (1922-1997م) فأطلق تسمية أشباه أصوات المد على الواو والياء غير المدّية، وأصوات المد على الألف والياء والواو، والتسمية البارزة لديه هي: أصوات المد الطويلة في مقابل أصوات المد القصيرة⁽⁴⁶⁾ وفضل كل من إدوارد الندروف وغ م غوبتشان مصطلحي الصامت والصائت العربيين⁽⁴⁷⁾

ويقسم المستشرقون الأصوات إلى قسمين رئيسيين هما الأصوات الصامتة؛ وهي السواكن (Consonnes) والمصوتات؛ وهي العلل (Voyelles)، ويستند هذا التقسيم حين النطق بالصوت، بوضع الأوتار الصوتية في الهمسي والجهر، وبطريقة مرور الهواء في جهاز النطق؛ فالصفة التي تجمع أصوات اللين كلها، إذ تتوفر لها حرية مرور الهواء من دواء عائق أو حائل يعترض مجراه في الحلق والفم أو الأنف⁽⁴⁸⁾، في حين أنّ الأصوات الساكنة تحدث نتيجة العوائق أمام مرور تيار النفس في جهاز النطق، فإذا كان العائق كاملاً كان الصوت انفجارياً،

وإن كان جزئياً جعل مجرى الهواء ضيقاً، فيحدث نوع من الصفير أو الحفيف كما في الأصوات الرخوة.

ويرى كانتينو أن الترتيب الأساسي الواجب في نظام الأصوات البسيطة المكونة للكلام البشري هو ترتيبها حروفاً وحركات⁽⁴⁹⁾، وحدد كانتينو خاصية الحرف بأن يقوم حاجز في جهاز التصويت، ثم أن يجتاز النفس ذلك الحاجز. أما خاصية الحركة فهي العكس، أن لا يقوم حاجز في جهاز التصويت فيجري النفس حراً طليفاً⁽⁵⁰⁾. وقد أخذ كانتينو Cantineau على النحاة العرب إطلاقهم اسم (حرف) على كل صوت بسيط في الكلام، سواء أكان حرفاً (Consonne) في المعنى الحقيقي للكلمة، أم حركة طويلة كحروف المد واللين، بينما هو اسم للرمز الكتابي يطلق على عناصر الأبجدية كلها وفق رؤيته⁽⁵¹⁾.

لكنّ فليش Fliesch لم يقتنع باستعمال كلمة (ساكن) وجمعها (سواكن) في مقابل (Consonne) وكلمة (حركة)، وجمعها حركات في مقابل (voyelle)⁽⁵²⁾، انطلاقاً من فكرة أن العرب لما وضعوا أصواتهم لم يقصدوا بالحرف والحركة، التعبير عن مفهوم (Consonne) في مقابل (voyelle)، فقالوا: حرف صحيح وحرف معتل ينقسم إلى حرف مد، وحرف كالصحيح، وحروف المدّ تعين عنصراً حركياً، كما أن الحركات أبعاد، أو أوائل حروف المد⁽⁵³⁾، وأن الحركة ليس لها وجود مستقل، وأنّ هناك تداخلاً بين مفهوم الحركة والمد، مما يقضي على صلاحية المصطلحين معاً، نتيجة لاختلاط مفهومهما، بينما الكلمتان: (Consonne) و (Voyelle) لهما مفهومان مستقلان، فلا تداخل بينهما ولا اختلاط⁽⁵⁴⁾.

إن رؤية فليش Fliesch في حد ذاتها تتضمن خطأ في تصور مفهومي الحركة والمد، لأن مفهومها واضح لدى العرب، فكون الحركة جزءاً من حرف المد لا يعني أنها مد، فالبعضية ليست بالضرورة دليلاً على الكل.

3-2- عدد المصوّتات: خصّص ابن جني في كتابه الخصائص باباً تحدّث فيه عن عدد

المصوتات أسماها: «باب في كمية الحركات»، قال فيه: «أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث، وهي: الضمة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ست، وذلك أنّ بين كل حركتين حركة، فالتّي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة، نحو فتحة عين عالم، وكاف كاتب، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة، كما أن الألف التي بعدها بين الألف والياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم، نحو فتحة لام الصلاة والزكاة والحياة، وكذلك ألف قام وعاد، والتي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف قيل، وسين سير،

فهذه الكسرة المشمة ضماً، ومثلها الضمة المشمة كسراً كضمة قاف المنقّرة، وضمة عين مذعور، وباء ابن بور؛ فهذه ضمة أشربت كسراً، كما أنها في قيل وسير كسرة أشربت ضمّاً، فهما لذلك كالصوت الواحد، لكن ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة»⁽⁵⁵⁾. وقد أجمع المستشرقون على أنّ عدد المصوّتات في العربية ستة؛ منها ثلاثة قصيرة هي الفتحة والضمة والكسرة، وثلاثة طويلة هي الألف والواو والياء⁽⁵⁶⁾، وأكدت المستشرقة الفرنسية أوديت بوتّي هذا التقسيم في المنظومة المصوتية للغة العربية⁽⁵⁷⁾.

وأبدت أوديت Odette Petit تأثرها البالغ بهذه المنظومة المصوتية العربية وقارنتها بالمنظومة الصوتية الإغريقية، فقالت: «ومن العجيب أن نلاحظ أنّ الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد، كانوا يستعملون النظام الفينيقي في كتاب لغتهم، وذلك أنهم كانوا يكتبون الحروف فقط، وكان على القارئ أن يضيف الحركات ليفهم معنى النص، وهذا مثل العربية تماماً، وفيها بعد صار الإغريق يكتبون الحركات أيضاً بادئين بالحركة المناسبة لصوت (a) الذي استعاروه من الأبجدية العبرية»⁽⁵⁸⁾.

3-3- المدة الزمنية بين المصوّتات الطويلة والقصيرة: المدة الزمنية هي الكمية

المدرّكة المحسوسة بالكمية الذاتية، أي الكمية الوظيفية اللغوية المعبرة عن قصار الحركات وطوالها، ويعبر عنها بمصطلح (Lengh) وبعد قياسها يعبر عنها بمصطلح (Duration)⁽⁵⁹⁾

عبر العرب عن المدة الزمنية بين المصوّتات الطويلة والقصيرة بمصطلح الإشباع، بأن تكون الحركة الطويلة مساوية حركتين قصيرتين، قال ابن جني: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة، كذلك الحركات ثلاثة، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو ... ويدلّك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنّك متى أشبعت واحدةً منهنّ حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين عمّر، فإنّك إنّ أشبعتها حدث بعدها ألفٌ فقلت عامر ... فقد ثبت بما وصفناه من حال هذه الأحرف أنّهنّ توابع للحركات متنشئة عنها، وأنّ الحركات أوائلٌ لها أجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والوا ضمة مشبعة»⁽⁶⁰⁾.

وإذا؛ يرى ابن جني أن بين الحركات وحروف المدّ مشابهة، فإذا أشبعت الحركة أنشأت حرفاً من جنسها وهو حرف مدّ، فالفتحة المشبعة تصير ألفاً ممدودة، ومن ثمّ فالألف أكثر قرباً إلى الياء من الواو؛ والفتحة هي أول الحركات⁽⁶¹⁾.

وأوضح فليش Fleisch أنّ علماء اللغة العربية أدركوا الفرق الكمي بين الحركات الطويلة والقصيرة، لكنّه أخذ عليهم عدم قياسهم مدّة الاستطالة في أصوات المدة؛ أي في الحركات الطويلة، فقال: «ويمثّل حروف المدّ صوتاً مصوّتاً مستطيلاً، غير أنّ مدّة هذه الاستطالة لم تقس، إذ إنّهم لم يتصوّروا الجانب الكمي منها»⁽⁶²⁾، ولعلّه لم يدرك أنّ العرب قد تصوّروا فعلاً المدة الزمنية بين مصوتين قصيرين وأسموها مصوّتاً طويلاً، وقد ظهر الاهتمام جلياً بالكمية الزمنية بين المصوّتات في علم التجويد.

ويرى فليش Fleisch بأهمية المصوتات العربية، إذ إنّ لها أثراً بنائياً، أما في الفرنسية فلا معنى للمصوتات الطويلة، إذ نشعر بفرق ضئيل في المدّة بين الفتحتين في الكلمتين: (Pâtes, Patte)، لكن الأمر في العربية مختلف، فعلياً أن نكون حذرين، إن كلمة جمل؛ Gamal تعني حيواناً، ولكن كلمة جمال؛ Gamal تعني وصفاً شريفاً؛ ففتحة الجيم في الكلمة (جمال) أفادت معنى الحسن، وكسر الجيم يجعلها تفيد معنى جمع الجمل ذكر الناقة، ومثل هذا نجدة في لغات سامية أخرى»⁽⁶³⁾.

ومما ورد عند علماء المسلمين عن مدة القياس الزمني للمصوتات العربية الطويلة والقصيرة، ما ذكره ابن سينا في قوله: «إنّ المصوّتة الألف، تقع في ضعف أو أضعاف زمن الفتحة، وأنّ الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصحّ فيها الانتقال من حرف إلى حرف»⁽⁶⁴⁾ وهذا ما لا يدع للشكّ طريقاً بأنّ علماء العرب والمسلمين قد تنبهوا لقياس المدة الزمنية بين المصوتات، ولا يمكن الاتفاق على وقت دقيق جداً يحسب بالثانية وأجزائها.

3-4- مخارج المصوتات وصفاتها: غنّى علماء العربية بمخارج الأصوات وبيان صفاتها، وتبعهم في ذلك علماء التجويد، ودرس ذلك المستشرقون بالشرح والمقارنة، ومن أقدم الدراسات العربية في هذا المجال ما قدّمه الخليل بن أحمد الفراهيدي (718-786م) في معجم العين، وتبعه في ذلك تلميذه أبو بشر عمر بن عثمان سيبويه (765-796م).

واختلف العلماء القدماء والمحدثون في عدد مخارج الحروف، فقالوا تسعة وقالوا عشرة وأحد عشر واثنا عشر وستة عشر، ومن أبرز مخارج الحروف؛ مخرج الشفة بصوت الباء والميم والواو، والشفة مع الأسنان بصوت الفاء، والأسنان مع اللثة بصوت الدال والضاد والتاء والظاء والسين والصاد والزاي، واللثة، بصوت اللام والراء والنون، والغار بصوت الشين والجيم والياء، والطبق بصوت الكاف والغين والخاء، واللهاة بصوت القاف، والحلق بصوت العين والحاء، والحنجرة بصوت همزة القطع والهاء⁽⁶⁵⁾.

وتتمثل أبرز مخارج المصوتات في ما يأتي:

(1) مخرج الفتحة الطويلة: أدرج ابن جني الألف ضمن أصوات الحلق؛ وجعلها أول الأصوات مخرجا، فقال: «اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفا، فأولها الألف، وآخرها الياء»⁽⁶⁶⁾، و«مخرج الألف المتحركة التي هي همزة من الصدر، ومخرج الألف فوقها من أول الحلق»⁽⁶⁷⁾، وجعل بذلك الألف تالية الهمزة في المخرج، وهي من أقصى الحلق، إذ إنَّ الهواء مع الألف يكون حرًا طليقا، فقال: «أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفَتحين، غير معترَضين على الصوت بضغط أو حصر»⁽⁶⁸⁾

(2) مخرج الكسرة الطويلة: قال ابن جني في وصف مخرج الكسرة الطويلة: «أما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جَنَبَتِي اللسان وضغطته، وتفاجَّ الحنكُ عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعداً هناك»⁽⁶⁹⁾، فمخرج الكسرة الطويلة يكون بارتفاع اللسان قبل الحنك الأعلى، مع ترك فجوة بينة بينهما تسمح بجريان الهواء دون انحباس أو تضيق.

(3) مخرج الضمة الطويلة: قال ابن جني في مخرج الضمة الطويلة: «أما الواو فَتَضُمُّ لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النَّفْسُ، ويتَّصل الصوت»⁽⁷⁰⁾ وتتمثل أبرز خصائص المصوتات وصفاتها في ما يأتي:

(1)- الجهر: عرف ابن جني مصطلح الجهر باعتباره أحد أبرز صفات المصوتات، بقوله: «المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النَّفْسُ أنْ يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت»⁽⁷¹⁾. وتعد الألف والياء والواو من الأصوات المجهورة، وفي هذا يقول ابن جني: «الحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوَّنة، وهي: الألف والياء والواو. اعلم أنَّ هذه الحروف أين وقعت، وكيف وجدت (سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات) ففيها امتداد ولين»⁽⁷²⁾

ويشرح القرطبي إطلاق مصطلح المصوَّت على تلك الحروف فيقول: «إنما سميت مصوَّنة؛ لأن النطق بهن بصوت أكثر من تصويته بغيرهن؛ لاتساع مخارجهن وامتداد الصوت بهن»⁽⁷³⁾؛ أي إنَّها تتميز بعلوِّها ووضوحها الصوتي.

وصرَّح فليش Fleisch بمعرفة سيبويه معنى الجهر والهمس حين حديثه عن صوت الصدر مع المجهور وصوت الفم مع المهموس، فقال: «استطاع سيبويه أن يشير بوضوح كبير،

وبما كان يملك من وسائل التحليل، إلى ما أن يجهله من دور الحَنَجرة، وهو ما نطلق عليه الجهر» (74).

(2)- حروف الاستطالة والمَدّ هي صفة المصوتات الثلاثة: ألف وياء وواو، قال ابن جني: «جميع الحروف صحيحة إلا الألف والياء والواو؛ اللّواتي هنّ حروف المدّ والاستطالة» (75)

(3)- المد واللين: هذه ميزة المصوتات الثلاثة: الألف، الواو، والياء (76)

لقد بيّن علماء العرب القدامى أنّ مصطلح المدّ يتضمن مصطلح اللين؛ أي أنّ كلّ صوت مدّ هو صوت لين. والعكس غير صحيح (77)، وبما أن المصطلحين (المد) و(اللين) يذكران على لسان العرب بالعطف، فهذا يعني أن بينهما مغايرة. ولا يدلان دلالة متطابقة.

3-5- علاقة المصوتات الطويلة بالمصوتات القصيرة: أدرك ابن جني نوع العلاقة القائمة بين المصوت القصير والطويل، فقال: «اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدّموا التّحويين يُسمّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللّواتي هنّ حروف نَوَامٌ كَوَامِل، قد تجدهنّ في بعض الأحوال أطوَل وأتمّ منهنّ في بعض، وذلك قولك يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فتجد فيهنّ امتداداً واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهنّ الهمزة أو الحرف المُدغم، ازدَدنَ طَوَلاً وامتداداً، وذلك نحو: يشاء ويداء ويسوء ويهوء ويحيء ويقيء، وتقول مع الإدغام شابة ودابة، ويطيب بكر، ويسير راشد، وثمود الثوب، وقد قُوصَ زيد بها عليه، أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهنّ بوقوع الهمزة والمدغم بعدهنّ، وهنّ في موضعهنّ يُسمّين حروفاً كَوَامِل، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفاً صِغَاراً بأبعد في القياس منه. ويدلّك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدةً منهنّ حدّث بعدها الحرف الذي هي بعضه» (78)

من خلال النص يتبين أنّ ابن جني قد تنبه إلى أنّ المصوتات القصيرة (الحركات) تشترك مع المصوتات الطويلة (حروف المدّ) في طريقة التّطق، إضافة إلى الوضوح السّمعّي، وأنّ المصوتات القصيرة أبعاض المصوتات الطويلة، والفرق بين المصوت الطويل والقصير يكمن في الكم، فالطويل هو الألف والياء والواو، وهي حروف ليست قارة في أحوالها جميعاً،

لأنها تزيد وتنقص، بسبب مجاورتها لبقية الأصوات، فإذا تلتها همزة نحو: يشاء، أو صوت مدغم، نحو: شابة ازدادت كميتها وطولها.

وأما عن سبب المدّ في المصوتات الطويلة إذا وقع المشدّد بعدها ف: «لأنهنّ» كما ترى - سواكن، وأوّل المثّلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها، عوضاً ممّا كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها، إذ لم يجدوا عليه تطرّقا، ولا بالاستراحة إليه تعلّقا» (79)

3-6- أقسام الصوت بين العرب والأوروبيين: لقد اتسم العرب بدقة الملاحظة، وسلامة الحس الفطري، في تذوق الأصوات، فقسموا الحروف إلى صائتة وصامتة.

أما الأصوات الصائتة فتتمثل في حروف العلة في المعجم العربي، وهي: الياء والواو والألف من الصوائت، وأما الأصوات الصامتة فبقية حروف المعجم من الصوامت،

أدرك العرب الملامح التي ميزت بين هذه الأصوات، فانقسمت عندهم إلى مجهورة ومهموسة تارة وإلى رخوة وشديدة تارة أخرى، وإلى أسنانة ولثوية مرة، وإلى حنكية ولهوية مرة أخرى، ومن ثم تجد الإشارات الصوتية في كل ملحظ من ملاحظ الأصوات المترامية لدى التقسيم.

وكان من نتائج مسيرة التطور للبحث الصوتي الأوروبي أن قسموا الأصوات اللغوية إلى قسمين رئيسيين الأول: Consonnes (كونسون)؛ وهي في العربية الأصوات الساكنة، أو الصامتة، والثاني: Voyelles (فويال)؛ وهي في العربية أصوات اللين أو الأصوات الصائتة.

وهذا ما أشار إليه علماء الصوت العرب قديما إذ اعتبروا الفتحة والكسرة والضمة وألف المدّ، وياء المدّ، وواو المدّ من الأصوات اللينة، وما سواها اعتبروها من الأصوات الساكنة (80).

وكان ابن جني سباقاً إلى هذه الإشارات والتنبيهات بقوله: (اعلم أن الحركات أبعاد حروف المد واللين وهي: الألف والواو والياء، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو) (81)

ورأي ابن جني صحيح تماماً إذ إنّ الحركات حين تشبع تصبح حروفاً؛ فحركة الفتحة حين تشبع وتمدّ تصير ألفاً، وحركة الكسرة حين تشبع وتمدّ تصير ياءً وحركة الضمة حين تشبع وتمدّ تصير واواً، فهي حروف تتفاوت في كمية النطق في الحرف الواحد.

وأما عن الصوامت العربية فقد تميزت عن الصوامت غير العربية بخصائص من حيث المخرج والصفة، على النحو الآتي⁽⁸²⁾:

(1) الباء: صامت شفوي مزدوج، انفجاري (شديد)، مجهور، مرقق؛ وهو يقابل في اللغات الأوروبية رمز (B) وليس في العربية صامت يقابل الرمز (P)، وهو يختلف في قيمته الأصواتية عن باء العربية بالهمس فقط، مع اتفاق الصوتين في القيم الأخرى.

(2) اللام: صامت أسناني لثوي، مائع (متوسط)، مجهور، جانبي، مرقق غالباً؛ إلا في لفظ الجلالة؛ فإنه يفخم إذا كان الانتقال إليه من فتح أو ضم، فأما إذا كان الانتقال من كسر فإنه يرقق على أصله.

(3) الشين: صامت غاري لثوي، احتكاكي (رخو)، مهموس، مرقق، يوصف بالتفشي، ومعناه أن مخرجه يحتل مساحة كبيرة من منطقة الغار واللثة، يتصل بها اللسان فيكون أثر الاحتكاك في النطق صادراً من نقاط متعددة، متفشية في الفم.

والتفشي عند فليش صفة خاصة بحرف الشين، وذلك لأن اللسان يتفشى فعلاً على الحنك، فيتكوّن في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس⁽⁸³⁾.

وينقسم الصوت عند الأوروبيين من خلال علاقته بالوترين الصوتيين إلى قسمين:

أ- مجهور؛ Voiced في الفرنسية و Voiced في الإنجليزية؛ الذي يحرك هذين الوترين.

ب- مهموس؛ Voiceless في اللغتين الفرنسية والإنجليزية؛ وهو الذي لا يحركهما. وهذا نفسه ما ذهب إليه سيويه في (الكتاب)، وابن جني في (سر صناعة الإعراب). الذي أشار إلى ذبذبة الوترين الصوتيين بدلالة كلامه عليهما وإن لم يصرح بهما، فالمهموس إذا أخففته ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك فيه، ثم كرر سيويه التاء بلسانه وأخفى، فأمكن، وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن⁽⁸⁴⁾. وإنما الفرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتها من الصدر ويجري في الحلق، أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، فإذا

أخفيت همست بهذه الحروف ، ولا تصل إلى ذلك في المجهور⁽⁸⁵⁾. ولعل ما أسماه سيبويه صوت الصدر هو صدى الذبذبات في الوترين الصوتيين بالحجرة⁽⁸⁶⁾

وشبه ابن جني جهاز النطق بالناي في انفتاحه وانطباقه تارة ، وبوتر العود في تشكيله الأصداء المختلفة والأصوات المتنوعة ، وفي هذا يقول: «إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور... فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة»⁽⁸⁷⁾

وانماز الفراهيدي بتقسيم الأصوات باعتبار مخارجها ، ووضع كل صوت موضعه في تتبع فريد من نوعه ، لا يزال العلم الحديث يعتمد ، ولم يخالفه إلا في إعادة تسمية بعض المصطلحات المعقدة أو القديمة والغريبة التي لا تناسب مع الدراسات الصوتية الحديثة ، دون تغيير حقائقها بما يتناسب مع اللغة التي انتظمت عليها.

ويمكن القول إن تقسيم الأصوات عند الخليل انطلاقا من مخارجها؛ تشتمل على مخطط تفصيلي لعملية إخراج الأصوات وإحداثها ، في شتى تقلباتها المكانية ابتداءً من الرئتين عند تدفق الهواء ، وانتهاءً بالشفيتين عند الميم ، تضاف إليها الخصائص المتعلقة بالأصوات وفضاءاتها ، وفق التقسيم الخليلي لمخارج الحروف ، على النحو الآتي:

1- الذلق: تخرج من طرفي اللسان أو طرف غار الفم ، وهي: (ر ، ل ، ن).

2- الشفوية: تخرج من بين الشفتين خاصة ، وهي: (ف ، ب ، م).

3- الحلق: مبدؤها من الحلق ، وهي: (ع ، ح ، هـ ، خ ، غ).

4- أقصى الحلق: الهمزة وحدها ، ومخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوظة.

5- الجوف: مخرجها من الجوف هاوية في الهواء ؛ هي: (ي ، و ، ا ، والهمزة).

6- حروف اللين: مخرجها من الرئتين ؛ هي: (ي ، و ، ا).

7- اللهوية: مبدؤها من اللها ، وهي: (ق ، ك).

8- الشجرية: مبدؤها من شجر الفم ؛ أي مخرج الفم ؛ وهي: (ج ، ش ، ض).

9- الأسلية: مبدؤها من أسلة اللسان ، وهي مستدق طرف اللسان ، هي: (ص ، س ، ز).

10- النطعية: مبدؤها من نطع الغار الأعلى ؛ وهي: (ط ، ت ، د).

11- اللثوية: مبدؤها من اللثة، وهي: (ظ، ذ، ث).

ويضيف الخليل إلى هذه الأقسام نوعين من الأصوات هما:

أ- الأصوات الصراح؛ وهي خمسة وعشرون حرفاً عدا الجوف.

ب- الأصوات الهوائية؛ وهي الياء والواو والألف والهمزة؛ لأنه لا يتعلق بها شيء⁽⁸⁸⁾

إن طبيعة تقسيم الأصوات، تتلمس حقيقة الصوت في الصوائت والصوامت، وتنظر إلى علاقة الصوت بوتر الصوت في المجهور والمهموس، وتراعي مخارج الأصوات بالنسبة إلى أجهزة النطق أو التصويت، وهذا كله يعدّ تأصيلاً حقيقياً لعلم الصوت، يُفاد منه في خدمة اللغة العربية، والنطق الصحيح، والترتيل القرآني، مما جعل اللغويين العرب المحدثين، وكذا المستشرقين مندهشين معجبين بالمنظومة الصوتية العربية.

4- رواد الفكر الصوتي العربي واهتمامات المستشرقين الفرنسيين:

4-1- رواد الفكر الصوتي عند العرب: حظي الدرس الصوتي بعناية فائقة، عند العرب

في بداية العصر الإسلامي إذ بفضل قراءة القرآن الكريم، أصبح علماء العربية يتأملون أصوات اللغة، ويُمعنون في قضاياها.

000 أنجحت هذه التأملات - في وقت مبكر جداً - دراسة طيبة للأصوات العربية، لا تبتعد كثيراً عما يقرره المحدثون⁽⁸⁹⁾. ولعل أهم رواد الفكر الصوتي عند العرب، هو أبو الأسود الدؤلي (603-688م) الذي حاول وضع رموز لجوانب الدرس الصوتي، تمثلت في الحركات، بعد أن أهملها العرب قبله، حتى وقعت الأخطاء في تلاوة القرآن الكريم، فعزم على وضع تلك الحركات، ليجنب القراء تلك الأخطاء، وقد جاءت بعد القواعد التي وضعها، محاولات علماء آخرين كيحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، لإصلاح نظام الكتابة العربية، بوضع نظام النقط والإعجام، لأجل التمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم كالحاء والجيم والحاء، والذال والدال، والطاء والظاء، والراء والزاي، وما إلى ذلك، فتسهل بها قراءة القرآن الكريم، ويرفع بها اللبس في نطق الحروف التي يجمعها رسم واحد متشابه⁽⁹⁰⁾.

وبعد الفراهيدي إمام علماء الأصوات، فهو الذي قدّم للفكر الصوتي العربي أهم أسسه، وهو من أوائل الذين قدّموا دراسة دقيقة للجهاز الصوتي، متمثلاً في الحلق والفم إلى الشفتين، وقام بتقسيمه إلى مناطق ومدارج، يختص كل مدرج منها بحرف أو مجموعة حروف، وقدّم تصنيفاً للأصوات العربية بحسب مخارجها ابتداءً من الحلق، حتى انتهى بحروف الشفتين. ثم

جاء تلميذه سيبويه، وأضاف إلى مخارج الأصوات طريقة تُطَقِّها من حيث الشدة والرخاوة، وما بينهما، ووضع الأوتار الصوتية، وما ينتج عنها من جهر، أو همس.

وانتبه ابن جني إلى القيمة التعبيرية للصوت، وعَلَّل مفهوم الصلة بين اللفظ والمعنى في أربعة أبواب من كتابه (الخصائص)⁽⁹¹⁾، وقال: «إن العلاقة بين الألفاظ ومعانيها لا تطرد في كل الألفاظ وتحتاج إلى إحاطة تامة وتلُصُّ ذكي»⁽⁹²⁾، غير أنه أشار في باب الاشتقاق الأكبر إلى أن أصوات المادة الواحدة، مهما كان ترتيبها، ترد إلى معنى واحد، وأخذ يعزز هذه النظرية بكثير من الشواهد، منها⁽⁹³⁾:

- 1- أن الأصوات (ج، ب، ر) تدلّ على القوة والشدة .
- 2- أن الأصوات (ق، س، و) تدل على القوة والاجتماع مهما اختلف ترتيبها .
- 3- أن الأصوات (ر، ك، ب) تدل على الإجهاد والمشقة، مهما اختلف ترتيبها .
- 4- أن الأصوات (س، ل، م) تدل على المصاحبة والملاينة مهما اختلف ترتيبها .

ورأى ابن جني أن تقارب الأصوات ناتج عن تقارب المعاني، فحين تشترك كلمة مع أخرى بحرفين ويتقارب مخرج الحرف الثالث فيهما، فإن ذلك التشابه الصوتي يؤدي إلى تشابه المعنى، وفي هذا يقول: «من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسَّوهُمْ أَزْأ﴾ -مريم. الآية 83-؛ أي تُرْعِجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا، والهزمة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهزمة، لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز»⁽⁹⁴⁾

وقد أعطى ابن جني شواهد كثيرة في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، فقال: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... ذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمَت الأحداث المُعَبَّر عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ... من ذلك قولهم: خضم وقضم؛ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اللباس نحو: قَضَمَت الدابة شَعِيرَهَا... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها للباس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث ومن ذلك قولهم النضح للماء ونحوه والنضح أقوى من النضج، قال سبحانه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاجَتَانِ﴾ -الرحمن. الآية 66- فجعلوا الخاء لرققتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لَهَا هُوَ أقوى منه»⁽⁹⁵⁾.

ووضع ابن جني معاني الأصوات المُجَرَّدَة⁽⁹⁶⁾، ومنها معاني الأصوات (ش، ب، ث) التي تطابق

معانيها، فالشين تدل على التفشي، والباء تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والثاء للنفث⁽⁹⁷⁾.

4-2- اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بالأصوات العربية:

حدد كانتينو Cantineau بداية الاهتمام الأوروبي بالمباحث الصوتية لدى النحاة العرب من قبل المستشرقين، فقال: «ابتدأت البحوث الصوتية المتعلقة بميدان اللغة العربية في أوروبا في منتصف القرن العشرين، بدراسة البحوث الصوتية التي قام بها النحاة العرب ومقارنتها بما أمكن استخلاصه من عناصر من كيفية النطق التقليدي بالعربية الفصحى، ومن مختلف كيفيات النطق بالألسن الدارجة»⁽⁹⁸⁾.

كان المستشرقون الألمان السابقين إلى الاهتمام بالدراسات الصوتية لدى النحاة العرب، وأبرزهم فالين Walin سنة 1855م، وبروك Bruck سنة 1860م، وليسيوس Lepsius سنة 1861م.⁽⁹⁹⁾ ونشر فولرز Vollers سنة 1892م مؤلفه الموسوم: (نظام الأصوات العربية). فجمع فيه ما ورد في كتب النحاة العرب من معلومات صوتية. ثم أصدر مؤلفه الموسوم: (لغة الشعب ولغة الكتابة في الجزيرة العربية قديما) سنة 1906م، وهو من الدراسات الصوتية الهامة التي ركزت على الألسن الدارجة الشائعة في الجزيرة العربية⁽¹⁰⁰⁾.

إلا أن الاستشراق الفرنسي كان له الدور الفعال في نشر كثير من العلوم والمعارف الأدبية واللغوية، ولاسيما في علم الأصوات. وذهب بعض المؤلفين إلى أن الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م بقيادة نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (1769-1821)، هي بداية الاستشراق الفرنسي في الشرق، إذ صاحبته الكثير من العلماء الذين احتكوا ببعض المشاركة وتعلموا منهم اللغة العربية، ثم إلى نشرها في الجامعات والمؤسسات التعليمية بين طلبتهم في فرنسا.

لقد هيمَنَ الفرنسيون على الحركة الاستشراقية نهاية القرن التاسع عشر، بفضل الكليات والمدارس التي أنشئت لهذا الغرض، فبقيت الدروس الشرقية في أيدي الفرنسيين في السنين العشر بين 1870 إلى 1880، كما ذكر الأستاذ لويس شيخو (1859-1927م) في تاريخ الآداب العربية، ويُعزى الفضل في ذلك إلى المستشرق الفرنسي أنطوان إيزاك دي ساسي Antoine Isaac Silvestre de Sacy (1758-1838م)، الذي «لَوَّنَ الاستشراق الأوروبي بصبغة فرنسية»⁽¹⁰¹⁾.

وفي الواقع أنّ ساحة النشاط الاستشراقي في الجزائر قد احتكرت من قِبَل الفرنسيين بعد الاحتلال مباشرة، مع وجود نوع من المزاحمة بينهم وبين غيرهم من الغربيين، وكان للإسبان أسبقية الاهتمام بمخزوننا الثقافي، وخاصة العهد التركي منه، «إذ خصّصوا مئات التأليفات لهذا العهد، وما زالت خزائن الوثائق في اسبانيا مملوءة بها»⁽¹⁰²⁾.

ومن أبرز أعمال المستشرقين الفرنسيين ما يأتي:

- كتاب فرونسوا سفاري دي براف François Savary de Brèves (1560-1627م) بعنوان: (أصول اللغة العربية العامية والفصحى)، قدمه باللغة اللاتينية إلى الحكومة الفرنسية، ونشر الكتاب عام 1813م.

- كتاب لويس جاك برنيه Louis Jacques Bresnie (1814-1869م)؛ وهو تلميذ إيزاك سلفستر دي ساسي Isaac Silvestre de Sacy، ترجم أجرومية محمد بن داود الصنهاجي (1273-1323م)، وشرح كلماتها باللغة العربية عام 1846⁽¹⁰³⁾.

- هرتفيك دارنبور Hartwig Derenbourg (1844-1908)، نشر كتاب سيبويه وترجمه وشرحه، مع الحواشي والمقدمة في ألف صفحة ما بين 1881 إلى 1889⁽¹⁰⁴⁾.

- ألف ويليام مارسيه William Marçais (1874-1956م) معجما كبيرا جمع فيه اللهجات الجزائرية و البربرية والمغربية، بنصوصها وأصواتها⁽¹⁰⁵⁾.

لقد سار المستشرقون الفرنسيون وفق منهجية صبغت الحركة الاستشراقية العالمية عامة، انصبّت حول التراث العربي دراسة وجمعا، وانحصرت اهتماماتهم في المجالات الآتية:

- تتبّع مواقع المخطوطات وجمعها في مراكز بحث جامعية أو في مكتبات خاصة.

- ترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والعلمية والكتب، والتعريف بها.

- وضع المعاجم، والاهتمام باللّسانيات .

ولخص المستشرق الفرنسي هنري ماسيه Henri Massé (1886-1969م) مجال اهتمامات المستشرقين في الجزائر، فقال: «إنّ المجالات التي عالجها المستشرقون في الجزائر من خلال رحلتهم هي: المعاجم واللّسانيات والمخطو والتاريخ والدين، وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والفقهية والعلمية، ثمّ الدراسات الأنثوغرافية والفلكلورية، وأخيرا الكتب المدرسية»⁽¹⁰⁶⁾.

حظيت الدراسات الصوتية التي أجراها النحاة العرب باهتمام المستشرقين، فكان من هذا الاهتمام أن وقفوا على النظرية الصوتية العربية، وحددوا أبعادها.

يقول المستشرق كانتينو Cantineau: «لقد كان قدماء النحاة العرب أول علماء الأصوات في لغتهم، فنحن نجد في كتابات سيبويه ترتيباً صحيحاً للحروف بحسب مخارجها، وملاحظات هامة حول صفات الحروف، وبحثاً غزير المادّة في إدغام الحروف، ومعلومات صحيحة تتعلق بمبدأ الحركات وباعتلال حروفها وإشارات لمختلف الألسن الدارجة وخصائصها الصوتية»⁽¹⁰⁷⁾.

ونعلم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي هو: «أول من وضع أصول هذا العلم من العرب، وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من أجزاء النحو، ثم استعاره المقرئون وأهل التجويد»⁽¹⁰⁸⁾.

ووقف المستشرق الفرنسي فليش Fleisch على الفرق الجوهرية بين دراسة الأصوات لدى علماء فقه اللغة في الدول الأوروبية على اختلاف لغاتها، والنحاة العرب، فقال: «يبدأ الدارسون لفقه اللغة الأوروبي دراسة النحو بعلم الأصوات، كيما يحدّدوا الأصوات التي هي حوامل اللغة تحديداً تاماً، وهي الأصوات التي تُؤدّي بها اللغة المدروسة. أما النحاة العرب الأقدمون فإنهم لم يعالجوا في مؤلفاتهم النحوية علم الأصوات لذاته، بل لكي يستطيعوا تفسير الإدغام»⁽¹⁰⁹⁾.

وتلكم نصوص صريحة تخبر باعتراف المستشرقين الفرنسيين خاصة بتفوق العلماء العرب في دراسة الأصوات على الأوروبيين.

وقدّم فليش Fleisch عرضاً تاريخياً لمؤلفات النحاة العرب القدماء التي تناولت علم الأصوات بدءاً بكتاب سيبويه الموسوم (الكتاب)، إلى كتاب ابن سينا الموسوم: (أسباب حدوث الحروف)؛ إذ يرى فيه أن الدراسة الصوتية لم تعرف استقلالية بوصفها علماً قائماً بذاته إلا على يد ابن سينا إذ خصّ علم الأصوات في رسالة احتوت عشرين صفحة، درس فيها الوضع التشريحي لأعضاء النطق ضمن أسباب حدوث الحروف⁽¹¹⁰⁾.

ولما أراد المستشرقون أن يدرسوا النحو العربي، بدا التأثير منهم واضحاً بطريقة العرب في مصطلحاتهم، وترتيب الأبواب، وغيرها من المظاهر.

«بدا هذا التأثير واضحاً في مؤلفاتهم اللغوية القديمة. ولو نظرنا في ملحوظات بعض المستشرقين في تعليقاتهم على مختلف الكتب اللغوية لوجدناها أقرب إلى النمط العربي في التفكير، وطريقة المعالجة بالدرس اللغوي العربي، وفي توظيف المصطلحات العربية الدقيقة⁽¹¹¹⁾

كما أن المستشرقين حينما يتناولون النحو العربي بالدراسة يستخدمون أحيانا أساليب غير معهودة عند العرب، من ذلك استخدام الأساليب الإحصائية في الوقوف على أظهر مفردات اللغة وأشهر تراكيبها النحوية، مع مقارنة ظواهرها بظواهر غيرها من اللغات وبخاصة اللغات السامية⁽¹¹²⁾.

ولم يقف المستشرقون عند حدود الاحتجاج الزماني والمكاني المعروفة لدى علماء العربية في دراساتهم، فالمادة اللغوية لدى المستشرقين لم تكن في الغالب الأعم هي الشواهد اللغوية المألوفة عند النحاة العرب، إذ وسّع المستشرقون دائرة مصادرهم فأخذوا من الأغاني للأصفهاني، ومن كتابات الطبري، والأحاديث النبوية... ولم يلتزموا بمفهوم لغة الاحتجاج التي ألفناها عند العرب⁽¹¹³⁾

ومن القضايا النحوية التي يبدو فيها تأثير المستشرقين في دراسة العربية بالفكر اللغوي الغربي أن «معظم ما ذهب إليه المستشرقون في موضوع الإعراب مجرد فروض، أساسها أن علامات الإعراب أثر لزوائد كانت تلحق الكلمات، ثم حذفت وبقي منها أثرها دالاً عليها، وهو الإعراب. وهم في هذا متأثرون بنظام لغاتهم، وسبيل الإعراب والتصريف فيها. فقد يكون ذلك لديهم بمقاطع لا بحركات، وربما خُفِّفَت هذه المقاطع واختزلت بتأثير التبر واختلاف النطق، أو بغيرها من الأسباب، فبقيت منه حركة. هذا واضح في لغتهم، مقرر في علمها، ولكن العربية لها منهج آخر مخالف لمناهج اللغات الغربية في الإعراب وفي التصريف»⁽¹¹⁴⁾.

4. خاتمة:

استطاع المستشرقون دخول عالم الأصوات العربية فانبهروا بها لما درسوها وناقشوها في بحوثهم، وتوصلوا إلى أن علماء اللغة العربية القدامى قدّموا نظرية صوتية تتصف بالكمال والشمول، وسبقوا العالم في نضج التفكير الصوتي، إلا أن صعوبة المنظومة الصوتية العربية وتعقيدها، قد جعل بعض المستشرقين يواجهون صعوبات في فهم الصفات الصوتية لحروف العربية، وأبرزها:

- اعتقادهم أنّ المصوتات الطويلة والقصيرة هي فونيمات مستقلة كالصوامت.
- الخلط بين الإطباق والتفخيم.
- عدم التمكن من الفهم الدقيق لقياس الكمية الزمنية المستشرقون بين المصوتات الطويلة والقصيرة بشكل دقيق أي بالثانية.
- ومن أبرز الفوائد والإيجابيات التي تحققت بفضل جهود المستشرقين في دراسة الأصوات العربية ما يأتي:
- الإسهام في الحفاظ على تراث البحث الصوتي العربي وفهمه، بالتحقيق والنشر والبحث والدراسة.
- توضيح أثر المصوتات في تشكيل النظام الصوتي العربي مع السواكن.
- التعريف باللغة العربية وخصائصها الصوتية ونشر مفاهيمها بين المثقفين الغربيين.
- تحفيز المثقفين العرب لدراسة تراثهم، ومن ثمّ إحياء الدراسات الصوتية.
- ومن أهم الاقتراحات التي يمكن ذكرها لإثراء هذه الدراسة ما يأتي:
- إدراج مادة اللغة السامية في أقسام اللغة العربية، ليتمكن الطالب من فهم المقاربة الصوتية بين العربية وبقية اللغات السامية.
- إنشاء مختبر صوتي، يهتم بالدراسات الصوتية للغة العربية، أو يختص باللغات السامية.
- إقامة دورات للتدرب على الكتابة الصوتية.
- تدريب الأطفال على النطق السليم للأصوات بالتزام مخارجها الصحيحة، لاسيما في المراحل التعليمية الأولى.
- إقامة مسابقة بعنوان أحسن ناطق للغة العربية، في مختلف مراحل التعليم.
- عمل برامج الكترونية لتعلم الصوت العربي وفق أنواع المصوتات وصفاتها.

5- مصادر البحث ومراجعته:

- (1) الإستراباذي (الرضي)، شرح الشافية. تح: محمد نور الحسن زفراف وآخرين. دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 1402هـ، ج:3، ص: 1396
- (2) الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين): الأغاني. دار الثقافة، بيروت، ط:2، 1957م، ج:1، ص:7

- (3) الأصفهاني (أبو القاسم الراغب): المفردات في غريب القرآن. تح: محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي، (د.ط.)، القاهرة، 1961م، ص: 288
- (4) أنيس (إبراهيم)، الأصوات اللغوية. مكتبة الانجلو المصرية، ط: 4، القاهرة، 1971م، ص: 6
- (5) أنيس (إبراهيم)، وآخرون: المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط: 1، 2008، م: 1، ص: 527
- (6) البدري (مصطفى)، دار الكتب العلمية، ط: 3، بيروت، 2010، ص: 49
- (7) البستاني (بطرس)، محيط المحيط. تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، 2009، م: 1، ص: 533
- (8) البوعبدلي (المهدي)، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، مجلة الأصاله؛ مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ماي- جوان 1972، ع: 8، ص: 273.
- (9) بيتي أوديت، اللغة عند علماء العرب الأقدمين وعلماء الغرب المعاصرين المستشرقين. مجلة الفيصل، السعودية، ع: 21، 1 فيفري 1979، ص: 171
- (10) بيتي أوديت، فونولوجيا اللغة العربية. مجلة الفكر العربي، بيروت، ع: 8، 1979، ص: 171
- (11) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ط: 2، 1968م، ج: 1، ص: 79
- (12) الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، الحيوان. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط: 1، بيروت، لبنان، 1996م، ص: 191-192
- (13) ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص. تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط: 4، بيروت، لبنان، 2013، ج: 1، ص: 33
- (14) ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. مكتبة مصطفى الحلبي، (د.ط.)، القاهرة، 1954م، ج: 1، ص: 58.
- (15) حسان (تمام)، مناهج البحث في اللغة. الدار البيضاء، ط: 2، دار الثقافة، المغرب، 1974، ص: 100.
- (16) الحمد (غانم قدوري)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط: 2، 2008، ص: 245-246.
- (17) الخفاجي (ابن سنان)، سر الفصاحة. تح: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، لبنان، 2010م، ص: 23
- (18) بدوي (عبد الرحمن)، موسوعة المستشرقين، بيروت، ط: 3، دار العلم للملايين، 1993، ص: 1003
- (19) ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة. تح: خليل شحادة. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، بيروت، لبنان، 1981م، ص: 297.
- (20) الراجحي (عبد)، فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية، (د.ط.)، الإسكندرية، 1990م، ص: 130.
- (21) سامرائي (قاسم)، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشرافية في مركز البحوث، إدارة الثقافة والنشر، جامعة محمد بن سعود، (د.ط.)، المملكة العربية السعودية، 1988، ص: 09.
- (22) سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1998، ج: 6، ص: 61.

- (23) السعمران (محمود)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية، (د.ط.)، بيروت، ص: 124.
- (24) ابن سينا (أبو علي بن عبد الله)، أسباب حدوث الحروف. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، 2011م، ص: 7.
- (25) السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط: 2، بيروت، 1987م، ص: 35.
- (26) شاهين (توفيق محمد)، علم اللغة العام. مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط: 1، القاهرة، 1980، ص: 92.
- (27) الصفا (إخوان)، رسائل اخوان الصفا وعلان الوفا. دار صادر، (د.ط.)، بيروت، (د.ت.)، ج: 1، ص: 189.
- (28) الصيغ (عبد العزيز)، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط 2، دمشق، 2007، ص: 136.
- (29) عبد التواب (رمضان)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، (د.ط.)، القاهرة، 1997، ص: 30-31.
- (30) العبيدي (رشيد عبد الرحمن)، مباحث في علم اللغة واللسانيات. دار الشؤون الثقافية العامة، ط: 1، مصر، 2008م، ص: 78.
- (31) العطية (خليل إبراهيم)، في البحث الصوتي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر، (د.ط.)، بغداد، العراق، 1983م ص: 29.
- (32) العقيلي (نجيب)، المستشرقون. دار المعارف، (ط: 3)، مصر، 1964، ج: 2، ص: 775.
- (33) عمايرة (إسماعيل أحمد)، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية. دار وائل للطباعة والنشر، ط: 1، عمان، 2002، ص: 15.
- (34) عمايرة (إسماعيل أحمد)، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل للطباعة والنشر، ط: 2، عمان، 2003، ص: 314.
- (35) العيني (بدر الدين أحمد)، شرح المراح في التصريف. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط: 1، القاهرة، 2012، ص: 183.
- (36) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل، ط: 1، بيروت، 1991م، ج: 3، ص: 318.
- (37) الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد، (د.ط.)، بغداد 1980م، ج: 7، ص: 146.
- (38) فليش (هنري)، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1968م، ج: 23، ص: 58.
- (39) فليش (هنري)، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. تر: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، ط 2، بيروت، 1986، ص: 18.
- (40) القرطبي (أبو عبد الله)، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. تح: سالم
- (41) كاتينو (جان)، دروس في علم أصوات العربية. تر: صالح القرمادي، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، (د.ط.)، تونس، 1966، ص: 21.
- (42) مالبج (برثيل)، علم الأصوات. تر: محمد حلمي هليل. مجلة الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: 1، مصر، 1994م، ص: 11.
- (43) المبرد (أبو العباس)، المقتضب. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، (د.ت.)، ج: 1، ص: 61.
- (44) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب. دار صادر، (د.ط.)، بيروت، لبنان، ج: 2، ص: 57-58.

- 45) موسكاتي (سباتينو) وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن. تر: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطليبي، دار عالم الكتب، ط: 1، بيروت، 1993 ص: 88
- 46) النوري (محمد جواد)، فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، (د.ط)، نابلس، 1991م، ص: 32

6- الهوامش والإحالات:

- 1 - الجاحظ (أبو عثمان)، الحيوان. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط: 1، بيروت، لبنان، 1996م، ص: 191-192
- 2 - أنيس (إبراهيم)، الأصوات اللغوية. مكتبة الانجلو المصرية، ط: 4، القاهرة، 1971م، ص: 6
- 3 - العطية (خليل إبراهيم)، في البحث الصوتي عند العرب. منشورات دار الجاحظ للنشر، (د.ط)، بغداد، العراق، 1983م ص: 29
- 4 - ابن جني (أبو الفتح عثمان)، سر صناعة الإعراب. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. مكتبة مصطفى الحلبي، (د.ط)، القاهرة، 1954م، ج: 1، ص: 58.
- 5 - فليش (هنري)، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني. تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1968م، ج: 23، ص: 58.
- 6 - ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا)، معجم مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون. دار الجيل، ط: 1، بيروت، 1991م، ج: 3، ص: 318
- 7 - ينظر: ابن جني، المرجع السابق. ج: 1، ص: 11
- 8 - ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب. دار صادر، (د.ط)، بيروت، لبنان، ج: 2، ص: 57-58
- 9 - الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، كتاب العين. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار الرشيد، (د.ط)، بغداد، 1980م، ج: 7، ص: 146
- 10 - الأصفهاني (أبو القاسم الراغب)، المفردات في غريب القرآن. تح: محمد سيد كيلاني. مطبعة مصطفى البابي، (د.ط)، القاهرة، 1961م، ص: 288
- 11 - ابن سينا (أبو علي بن عبد الله)، أسباب حدوث الحروف. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، 2011م، ص: 7
- 12 - ابن جني، المرجع السابق. ج: 1، ص: 6
- 13 - ابن جني، الخصائص. تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، ط: 4، بيروت، لبنان، 2013، ج: 1، ص: 33
- 14 - الحمد (غانم قدوري)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط: 2، 2008، ص: 245-246
- 15 - ينظر: الصيغ (عبد العزيز)، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط: 2، دمشق، 2007، ص: 136
- 16 - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ومكتبة الهلال، بيروت، ط: 2، 1968م، ج: 1، ص: 79
- 17 - الصفا (إخوان)، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا. دار صادر، (د.ط)، بيروت. (د.ت). ج: 1، ص: 189
- 18 - ينظر: المرجع نفسه. ص: 188
- 19 - الخفاجي (ابن سنان)، سر الفصاحة. تح: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، لبنان، 2010م، ص: 23
- 20 - ابن جني، سر صناعة الإعراب. ج: 1، ص: 6

- 21- العبيدي (رشيد عبد الرحمن)، مباحث في علم اللغة واللسانيات. دار الشؤون الثقافية العامة، ط: 1، مصر، 2008م، ص: 78
- 22- السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط: 2، بيروت، 1987م، ص: 35
- 23- أنيس (إبراهيم)، وآخرون، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط: 1، 2008، م: 1، ص: 527
- 24- مالبرج (بريتل)، علم الأصوات. تر: محمد حلي هليل. مجلة الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط: 1، مصر، 1994م، ص: 11
- 25- الأصفياني (أبو الفرج علي بن الحسين)، الأغاني. دار الثقافة، بيروت، ط: 2، 1957م، ج: 1، ص: 7
- 26- ينظر: ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة. تح: خليل شحادة. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، بيروت، لبنان، 1981م، ص: 297
- 27- ينظر: الإستراباذي (الرضي)، شرح الشافية. تح: محمد نور الحسن زفاف وآخرين. دار الكتب العلمية، (د. ط)، بيروت، 1402هـ، ج: 3، ص: 1396
- 28 - ينظر: ابن منظور، المرجع السابق. ج: 1، ص 296
- 29 - حسان (تمام)، مناهج البحث في اللغة. الدار البيضاء، ط: 2، دار الثقافة، المغرب، 1974، ص: 100
- 30 - السعمران (محمود)، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دار النهضة العربية، (د. ط)، بيروت، ص: 124
- 31- البستاني (بطرس)، محيط المحيط. تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، 2009، م: 1، ص: 533
- 32 - السعمران، المرجع السابق. ص: 124
- 33 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 34 - ابن جني، الخصائص. ج: 3، ص: 124-125
- 35 - ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 20 - 21
- 36 - المرجع نفسه. ص: 21
- 37 - المرجع نفسه. ص: 22
- 38 - فليش، المرجع السابق. ص: 65
- 39 - المرجع نفسه. ص: 87
- 40 - ينزر: فليش (هنري)، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. تر: عبد الصبور شاهين، دار المشرق، ط 2، بيروت، 1986، ص: 18
- 41 - ينظر: المبرد (أبو العباس)، المقتضب. دار الكتب العلمية، ط: 1، بيروت، (د. ت)، ج: 1، ص: 61
- 42 - ينظر: ابن جني، الخصائص. ج: 3، ص: 125
- 43 - ينظر: ابن سينا، المرجع السابق. ص: 163
- 44 - كانتينو (جان)، دروس في علم أصوات العربية. تر: صالح القرمادي، منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، (د. ط)، تونس، 1966، ص: 21
- 45 - فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 87
- 46 - موسكاتي (سباتينو) وآخرون، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن. تر: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي، دار عالم الكتب، ط: 1، بيروت، 1993، ص: 88

- 47 - المرجع نفسه. ص: 180
- 48 - ينظر: شاهين (توفيق محمد)، علم اللغة العام. مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة، 1980، ص: 92
- 49 - كانتينو: المرجع السابق. ص: 20
- 50 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 51 - فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب. ص: 58
- 52 - ينظر: فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 18
- 53 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 54 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 55 - ابن جني، الخصائص. ج: 3، ص: 120-121
- 56 - ينظر: فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 35
- 57 - ينظر: أوديت بيتي، فونولوجيا اللغة العربية. مجلة الفكر العربي، بيروت، 8. 1979، ص: 171
- 58 - ينظر: أوديت بيتي، اللغة عند علماء العرب الأقدمين وعلماء الغرب المعاصرين المستشرقين. مجلة الفيصل، السعودية، 21، 1 فيفري 1979، ص: 171
- 59 - ينظر: مالمبرج، المرجع السابق، ص: 141
- 60 - ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 31-34
- 61 - ينظر: المرجع نفسه. ص: 68
- 62 - ينظر: فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب. ص: 87
- 63 - ينظر: فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 55
- 64 - ابن سينا، المرجع السابق. ص: 17
- 65 - عبد التواب (رمضان)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، (د.ط)، القاهرة، 1997، ص: 30-31
- 66 - المرجع نفسه. ص: 55
- 67 - المرجع نفسه. ص: 57
- 68 - المرجع نفسه. ص: 21
- 69 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 70 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 71 - المرجع نفسه. ص: 75
- 72 - ابن جني، الخصائص، ج: 3، ص: 124
- 73 - القرطبي (أبو عبد الله)، تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. تح: سالم مصطفى البدر، دار الكتب العلمية، ط 3، بيروت، 2010، ص: 49
- 74 - فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 200
- 75 - ابن جني، سر صناعة الإعراب. ج: 1، ص: 33
- 76 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 77 - العيني (بدر الدين أحمد)، شرح المراح في التصريف. مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2012، ص: 183

- 78 - ابن جني، سر صناعة الإعراب. ج: 1، ص: 34
- 79 - ابن جني، الخصائص، ج: 3، ص: 126
- 80 - ينظر، أنيس إبراهيم: الأصوات اللغوية. ص: 26
- 81 - ابن جني، سر صناعة الإعراب. ج: 1، ص: 19
- 82 - مالبج، المرجع السابق. ص: 122
- 83 - فليش، دروس في علم أصوات العربية، ص: 38
- 84 - ينظر: العطية، المرجع السابق. ص: 42
- 85 - المرجع نفسه. ص: 43
- 86 - ينظر: أنيس إبراهيم، المرجع السابق. ص: 123
- 87 - ابن جني، سر صناعة الإعراب. ص: 10
- 88 - ينظر: الفراهيدي، المرجع السابق. ص: 51-60
- 89 - الراجحي (عبده)، فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، الإسكندرية، 1990م، ص: 130
- 90 - النوري (محمد جواد)، فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، (د.ط)، نابلس، 1991م، ص: 32
- 91 - المرجع نفسه. ج: 2، ص: 133
- 92 - المرجع نفسه. ص: 138
- 93 - المرجع نفسه. ص: 136
- 94 - المرجع نفسه. ج: 2، ص: 146
- 95 - المرجع نفسه. ص: 157
- 96 - المرجع نفسه. ص: 163
- 97 - المرجع نفسه. ص: 166
- 98 - كانتينو، المرجع السابق.. ص: 11
- 99 - المرجع نفسه. ص: 12
- 100 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 101 - سامرائي (قاسم)، الفهرس الوصفي للمنشورات الاستشرافية في مركز البحوث، إدارة الثقافة والنشر، جامعة محمد بن سعود، (د.ط)، المملكة العربية السعودية، 1988، ص: 09.
- 102 - البوعبدلي (المهدي)، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، مجلة الأصال؛ مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ماي- جوان 1972، ع: 8، ص: 273.
- 103 - العقيلي (نجيب)، المستشرقون، دار المعارف، ط: 3، مصر، 1964، ج: 2، ص: 202.
- 104 - المرجع نفسه، ص: 213
- 105 - بدوي (عبد الرحمن)، موسوعة المستشرقين، بيروت، ط: 3، دار العلم للملايين، 1993، ص: 1003
- 106 - سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1998، ج: 6، ص: 61.
- 107 - كانتينو، المرجع السابق. ص: 11
- 108 - المرجع نفسه. الصفحة نفسها
- 109 - فليش، العربية الفصحى، دراسة في البناء اللغوي. ص: 53

-
- 110- المرجع نفسه. ص:54
- 111 - عمارة (إسماعيل أحمد)، بحوث في الاستشراق واللغة، دار وائل للطباعة والنشر، ط:2، عمان، 2003، ص:314.
- 112- عمارة، المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية. دار وائل للطباعة والنشر، ط:1، عمان، 2002، ص:15.
- 113- عمارة، بحوث في الاستشراق واللغة. ص:325
- 114 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، (د.ن)، ط:2، القاهرة، 1992م. ص:45